سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ ٩

مكانة الصحابة

في نصوص القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد العزيز العنقري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

العقيدة

مكانة الصحابة

في نصوص القرآن الكريم

drangari alanqri

للإعلام بالأخطاء الطّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

٩

مكانة الصحابة

في نصوص القرآن الكريم

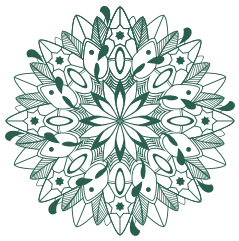

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِن أَنوَاع صُحبَة اَلنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَذكُورةٌ في كِتَاب اَلله عَزَّوَجَلَّ، سنذكر مِنهَا بِإذن اَلله مَا تَيسَّر.

فَمِن ذَلِك أنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم من جِهة أَنوَاع صُحبتِهم على النَّحو اَلآتِي:

النَّوع الأوَّل: أَصحَاب أرفعُ دَرجَةٍ في الصُّحبة، وَهِي الذين سَبقُوا إِلى الإيمان بِنبيِّهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مَكَّة؛ فقد شَرّفُهم اَلله تَعالَى بَاسِمٍ كريمٍ في كِتابه هُو اِسم المهاجرين؛ لِأَنَّهم فارقوا لِأَجل هَذِه الصُّحبة النَّبويَّة وطنهم مَكَّة بَعد أن أُوذُوا في اَلله أَعظَم الأذى، وشَهِد اَلرَّبُ على قُلوبِهم بِمَا اِشتمَلت عليه من الإخلاص والقَصد اَلزكِي بِهَذه الهجرة، الشَّديدة على النَّفس، فلَا يقع ذَلِك قطُّ إِلَّا مِمَّن قَدَّم دِينه على دُنياه.

تَأمّل ذَلِك تَأمُّل المتدبِّر لِقَول اَلله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨]؛ فقرن اَلله بَين هِجرتِهم وَفقرِهم؛ لِأَنَّ فقرهم نشأ عن سببٍ مَحمُود وَهُو تَركهُم بِلادَهم وأموالهم، فِرارًا بِدينِهم فصاروا إِلى المدينة غُرَباء فُقَراء؛ فَلذَا قال تَعالَى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر:٨]، وَفِي قَول اَلله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ﴾ [الحشر:٨] شَهادَةٌ من اَلله؛ لِأَنَّهم مُخلصون لِربِّهم في هَذِه الهجرة؛ فإن الابتغاء لِلشَّيء هُو الاجتهاد في طَلبِه، فمتى كان الطَّلبُ لِشَيءٍ مَحمُود كان الابتغاء مَحمُودا، كمَا قال تَعالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل]؛ فَشهِد اَلله على قُلوبِهم وَهُو

الذي يَعلَمُ الخباء في السَّماوات والأَرض بِابتغاء فَضلِه عَزَّوَجَلَّ وابتغاء رِضوانه ونصر اَلله وَرسُوله صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ فَإِن جُملَة «**يبتغون**» في محلِّ نُصب حالٍ، وَكذَلِك جُملَة «**وينصرون**» لِأَنَّهَا مَعطُوفة عليهَا؛ فَهذَا حَالُهم الذي شَهِد بِه رَبهُم.

ومعلومٌ أنَّ نصرهم رَسُول اَلله صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سيترَتَّب عليه مَا يجزمون معه جزمًا من مُحَاربَة أَعدَاء اَلله وَرسُوله صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لَهُم؛ فتحمَّلوا كُلَّ ذَلِك لِعَظم مَا قام بِقلوبهم من الإيمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ؛ ولأجل هَذِه الأحوال اَلزكِية المذكورة لِلمهاجرين فقد سمَّاهم اَلله تَعالَى بَاسِمٍ لَا تُخطِّي العينِ ولَا القلب دَلَالتَه على المقَام اَلعظِيم الذي تبوِّئوه؛ بِهَذه الصُّحبة من الإيمان حَيث سمَّاهم رَبهُم بِالصَّادقين؛ فَقَال في خِتَام اَلآيَة المذكورة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]؛ فَإِذَا عَرفَت أَنَّ هؤلاء المهاجرين الكرام قد سمَّاهم ربهم بِالصَّادقين فَتَأمَّل مَا ذَكرَه اَلله في كِتَابه عن الصَّادقين؛ لِيتَّضح لَك المدلول اَلعظِيم لِهَذه التَّسمية.

وَأَوَّل مَا يَنبَغِي أن نَتَأملَه مَا أمر اَلله بِه المؤمنون من أن يكونوا مع الصَّادقين في قَولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]؛ فَإِن اَلمُراد بِالصَّادقين هُنَا اَلنبِيُ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأَصحابهُ، **وقيل**: اَلمُراد بِهم المهاجرون، **وقيل**: اَلمراد أَبُو بَكر وَعمَر وأصحابهمَا، وأَيًّا كان اَلمُراد فَإِن المهاجرين داخلون في اَلآيَة بِلَا رَيب.

وَمَرتبَةُ الصِّدِّيقين التي حازهَا المهاجرون فَوق مَرتَبة عُمُوم المؤمنين، وَدُون مَرتَبة الأنبياء، كمَا أَوضَحه المفسرون عِند قَول اَلله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ [الحديد:١٩]؛ فَتَجلَّى بِذَلك عِظم قَدر المهاجرين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ؛ حَيث شَهِد لَهُم رَبهم بِالصِّدق؛ فلم يحتاجوا بَعد شَهادَة رَبهم أن يَسأَل أحدٌ عن أَصل إِيمانهم مُدَّعيًا اِلتباسهمَا بِغيرِهم من الهالكين؛ فَإِن الصَّادقين بِنصِّ كِتَاب اَلله هُم أَهل الإِيمان الكامل، الذي لَم يشبه شَائِبة الرِّيبة، كمَا قال تعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]؛ فَلمَّا كَانُوا بِهَذا المقَام اَلعظِيم من الصِّدق نفعهم صِدقهم يَوم القيامة حَيث تَبوَّأ بِه عليا الدَّرجات، كمَا قال تعَالَى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[المائدة:١١٩]؛ فَمِن يَجرُؤ بَعد هذَا البيَان اَلعظِيم في كِتَاب اَلله أن يَخلِط بِهؤلَاء

المهاجرين الذين شَهِد لَهُم رَبهم بِأنَّهم هُم الصَّادقون الذين لَم يرتابوا، وأنَّهم النَّاجون في القيامة، من يَجرُؤ أن يَخلط بِهم أَهل النِّفَاق الذين بَيّن اَلله أنَّ حالهم ومالهم على الضِّدِّ تمامًا من حال ومآل أُولئك الصَّادقين فَقَال مُبَيّنا حال المنافقين: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] وَقَال مُبَيّنا مَآلُهم: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥]؛ فكيف يَلتَبِس أَمر المهاجرين الذين شَهِد لَهُم رَبهم بِأنَّهم هُم الصَّادقون وأنَّهم النَّاجون في القيامة؛ بِالمنافقين الذين شَهِد رَبهُم بِأنَّهم هُم الكاذبون الهالكون يَوم القيامة، لَا يَلتَبِس حال هؤلاء وَهؤُلاء على ذِي لُبٍّ، وقد وقد وقع بينهمَا هذَا التَّفاوتِ اَلعظِيم الذي صار بِه كُلُّ فريقٍ على الضِّدِّ من اَلفرِيق الآخر؛ حَتَّى لَقد قال اَلله مُبَيّنا شِدَّة مُبَاينَة الصادقين لِلمنافقين: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأحزاب:٢٤]؛ فَجعَل الصَّادقين والمنافقين فريقَينِ مُتضادَّينِ لَا يجتمعان في حالٍ ولَا مآل؛ فَمِن رمى هؤلاء المهاجرون الصادقين بِالنِّفاق فَقد وَاَلله ردّ كِتَاب اَلله عَزَّوَجَلَّ وكذّبه.

○ **النَّوع الثَّاني:** من أَنوَاع الصُّحبة النَّبويَّة، صُحبَة المؤمنين من أَهل المدينة، الذين اِختارهم عَلَام اَلغُيوب لِيكوِّنوا المؤين لِرسول اَلله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ واختَار بَلدُهم من بَين جميع البلَاد لِتكون محلِّ هِجرته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فشرفت بِلادهم وَشرف أَهلِها بِهَذا الاختيار: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [الحجرات:٨]، قال تَعالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]؛ فَجعَل اَلله تَعالَى طيبة الطَّيِّبة بلدًا بديلًا عن البلد الذي أُخرَج مِنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَجعَل المؤمنين من أَهلِها إِخوَةً لَمِن هَاجَر من مَكَّة؛ فكانوا خيرًا لَهُم من عشائرهم، وقد سَمَّى اَلله المؤمنين من أَهل المدينة بَاسِمٍ شريفٍ يَدُل بِمجرَّده على كرامتهم على رَبهم لِحسن صُحبتِهم لِنبيِّهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ حَيث سمَّاهم اَلله عَزَّوَجَلَّ «**بِالأنصار**» وقرنَهم في مَواضِع من كِتابه بِإخوانهم المهاجرين، وأثنى على خصالهم التي نَوَّه بِهَا في كِتابه فلن يَخفَى على اَلأُمة إِلى قِيَام السَّاعة مَوضِع هؤلاء الأخيار من الإيمان؛ فإن الخصَال التي ذكرهَا اَلرَّبُ عَنهُم لَا يَبلُغها إِلَّا اَلخُلص من أَهل الإيمان، قال عَزَّوَجَلَّ مُنوهًا بِالأنصار بعدمَا ذكر المهاجرين: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]؛ فَهذَا الاسم «**الأنصار**» اِسمٌ لَه شَرفهُ اَلرفِيع؛ لِذَا لِمَا سُئِل أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَرأَيت اِسم الأنصار

كُنتُم تُسَمون بِه أم سمَّاكم اَلله؟ قال: بل سمَّانَا اَلله» رَوَاه البخاري، وَذلِك أنَّ هؤلاء المؤمنين نَصرُوا رَسُول اَلله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُصرَةً كَانُوا يعلمون أَنهَا ستجلب لَهُم مُعادَاة جميع المشركين، وأن كَثرَة العرب من حَولِهِم سيرمونهم عن قَوسٍ وَاحدة؛ فَتَحمَّل الأنصار رضي الله عنهم كُلُّ ذَلِك، مع مَا فيه من تَعرِيض مهجهم لِلقتل وَتعرِيض بِلادِهم لِلغزو؛ كمَا قال: «أُبي بن كَعب رضي الله عنه لما قَدَّم رَسُول اَلله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قَوسٍ واحدة؛ فكانوا لَا يبيتون إِلَّا فِي السِّلَاح، ولَا يصبحون إِلَّا فِيه» أَخرَجه ابن المنذر والطَّبراني في «اَلأَوسط» والحاكم وابن مَردوِيه والبيهقي في «الدَّلائل».

ثُمَّ إنَّ اَلرَّب تَعالَى نَوَّه بِمَآل الأنصار من الخصال الرَّفيعة التي من أَعظمِها حُبهُم لِإخوانهم المهاجرين مَحبَّةً إِيمانيَّةً خَالِصةً لِوَجه اَلله؛ لَم يحملهم عليها أيُّ طمعٍ دُنيويّ، **كَيف؟!!** وقد بَذلُوا دُنياهم مُواسَاةً لِإخوانهم الفقراء المهاجرين؛ فما حملهم على مَحبَّة هؤلاء المهاجرين إِلَّا الإيمان الذي بَيِنه اَلله بِقوله: ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ **أيّ**: سَكنُوا دار الهجرة من قِبل المهاجرين، وآمنوا قَبل كثيرٍ مِنهم، ثُمَّ شَهِد لَهُم ربهم اَلمُطلّع على سُويدَاء قُلوبِهم بِأَمرٍ يَتعلَّق بِمَا تُكنّهم صُدورهم في شَأن المهاجرين فقال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ [الحشر:٩] **أيّ**: ولَا يَجدُون في أَنفسِهم حسدًا لِلمهاجرين فِيمَا فضَّلهم اَلله بِه من المنزلة والشَّرف، والتَّقديم في الذِّكر والرُّتبة كمَا بَيّن ابن كثير؛ وَممَّا يُوضِّح ذَلِك أنَّ اَلنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسّم أَموَال بنِي النضير في المهاجرين دُون الأنصار، فطابت أَنفُس الأنصار بِذَلك، كمَا بَيَّن البغَوي في «التَّفسير»، فمع أنَّ الأنصار هُمَ أَهل البلَاد، والمهاجرون هُم الوافدون إِلَّا أنهم رَضُوا بِجَعل هَذِه الأموال الكثيرة في المهاجرين دُونهم؛ لِحاجة المهاجرين الذين تَركُوا أموالهم وديارهم؛ فرضيَّ الأنصار رَضِي اَلله عن اَلجمِيع بِذَلك لَمَا جعل اَلله في قُلوبِهم من صِدق الإيمان الذي هَانَت بِه عَليهِم دُنياهم، ولم يَقف الأنصار رضي الله عنهم عِند هذَا اَلحَد، بل بَلغُوا مَرحَلة الإيثار لِلمهاجرين على أَنفسِهم، كمَا قال اَلله تَعالَى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [الحشر:٩]، «**والإيثار**»: تَقدِيم الغير على النَّفس في حُظُوظ الدُّنيَا، ومَعنَى «**الخصاصة**» الحاجة والفَقر؛ فَلمَّا تَمَّت تِلك الخصَال الكريمةُ في الأنصار حَازُوا شرف اِسم أَبى اَلله إِلَّا أن يَكُون لِلمؤمنين دُون غَيرِهِم، وَهُو اِسم «**المفلحين**» الذي خُتمَت بِه اَلآيَة في قَولِه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، «**والفلاح**» هُو الفوز والظَّفر.

❍وهل يكون الفلاح إِلَّا لأهل الإيمان؟!

لَا وَالله؛ لَا يَكُون ذَلِك إِلَّا لِأَهل الإيمان؛ فقد بَيّن الله أنَّ المفلحين هُم حِزب كمَا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وأهلُ الفلاح قد ذكرهم الله تعالَى بِأوصافهم الكريمة بِمَا جلّاهم غَايَة الجلَاء فَقَال فِي أَوَّل سُورَة البقَرة ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة]، وقد كان أَهلُ المدينة من الأوس والخزرج قَبل أن يَمُن الله عَليهِم بِالإسلام على أشدَّ مَا يَكُونُ من الخصومة والعداوة فَلمَّا أكرمَهم الله بِالإيمان أَلَّف بَين قُلُوبهم عليه وامتنَّ بِذلك مُبيِّن أَنَّه وَحدَه الذي جمع تِلك القُلوب المتناثرة، وأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَو أَنفَق جميع مَا فِي الأرض لِيؤلِّف بَين قُلوبِهم لَم تَمكَّن من ذَلِك؛ لَكِن الله بِقدرَته العظيمة أَلّف بينهم، وهذَا من أظهَر الأدِلة على عَظم مَا قام بِقلوب الأنصار من الإيمان، حَتَّى نَوَّه بِه سُبحانه فِي كِتابه وأنزل فِيه قُرآنَا يُتلَى فقَال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣]؛ وَتألِيف القُلوب وَجمعِها على الإيمان مِنَّةٌ عَظِيمَة أَمتَّن الله بِهَا فِي قَولِه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ [آل عمران:١٠٣] الآيَة.

فهل يَخفَى على ذِي لُبٍّ أَمر إِيمَانُ المهاجرين والأنصار وَهُم الذين شَهِد لَهُم رَبهِم بِدرجة الإيمان الرَّفيعة التي لَا يَنالها إِلَّا الخُلّص من المؤمنين الذين شرفهم رَبهُم بِهَذا الاسم العظِيم وَهُو المؤمنون حقّا؛ حَيث قال سُبحانه فِي أَواخِر سُورَة الأنفال مُنوهًا بِالمهاجرين والأنصار جميعًا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال:٧٤]؛ فكيف يُخلط هؤلاء المؤمنون حقّا من المهاجرين والأنصار بِمن هُم كُفَّارٌ حقّا، ومنافقين حقّا، لَا يَختَلِطُ هذا إِلَّا على من أَعمَى الله تَعالَى قُلوبهم؛ فالمؤمنون حقّا اِسمٌ شرّف الله بِه المهاجرون والأنصار وميِّزهم بِه فلَا يخفون على من آمن بِالقرآن وَأنَّه من عِند ربِّ العالمينِ، وَكمَا ورَدَت فِي آخر سُورَة الأنفال، شَهادَة الله

لِلمهاجرين والأنصار بِأنَّهم المؤمنون حقّا، فقد بَيّن اَلله في أَوَّل هَذِه السُّورة خِصَال هؤلاء المؤمنين حقّا بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٤]؛ فَذكَر اَلله هَذِه الخصَال في أَوَّل السُّورة عَامَّة، ثُمَّ بَيَّن أنَّ الذين أنَّ الذين حَققُوها على أَكمَل مَا يَكُون من التَّحقيق هُم المهاجرون والأنصار رَضِي اَلله تَعالَى.

وَبذَلِك: تُدرِكُ مَوقع هؤلاء الأخيار من الإيمان، ومَا بَلغُوا فِيه من عظيم الدَّرَجة، وَلمَّا كان المهاجرون والأنصار قد حَازُوا شرف هذَا الاسم اَلعظِيم «**المؤمنون حقّا**»؛ فقد بَيّن اَللهُ أنَّ بعضهم أَولِياءُ بَعض، كمَا قال سُبحانه أيضًا في سُورَة الأنفال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال:٧٢]، وَهذِه الولاية وِلاية إِيمانيَّةٍ مَحضَة بِلَا أَدنَى شكّ، فَإِن المهاجرين في مُعظمِهِم قورشيون مكِّيُّون، أمّا الأنصار فخزرجيُّون وأوسيون مدنيُّون؛ فمَا الذي جمعهم على هَذِه الولاية مع اِختِلاف أنسابهم وتباعد أوطانهم إِلَّا الإيمان الذي صَحبُوا بِه نبيُّهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِذَا تَدبرَت كِتَاب اَلله تَعالَى عَلمَت أنَّ الولاية كمَا جمع اَلله تَعالَى بِهَا المهاجرين والأنصار أَعنِي الولاية الإيمانيَّة مع مَا بينهم من المُباينة الدُّنيويَّة فإن هذه الولاية هِي التي جمع اَلله تَعالَى بِهَا سَائِر المؤمنين والمؤمنات في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكان، كمَا قال تَعالَى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١].

وَبذَلِك: يَعلَمُ كُلُّ قَارِئٍ لِكتاب اَلله أنَّ المهاجرين والأنصار أَبعَد مَا يكونون عن النِّفَاق؛ لِأنَّ هذَا الوصف المذكور عن المهاجرين والأنصار في اَلآيَة من وِلاية بعضهم بَعضًا في الإيمان يَنفِي أيَّ صِلةٍ لَهُم بِالنِّفاق، لِصريح قَول اَلله في أَهل النِّفَاق: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٦٧]؛ فَمِن جَعل المهاجرين والأنصار المشهود لَهُم بِالإيمان اَلحَقّ والمعقود لَهُم عَقد الولاية عليه، من جَعلهم مُنافقين فقد ضرب آيات اَلقُرآن بعضهَا بِبَعض؛ فشأن المهاجرين والأنصار شَأنٌ كبيرٌ عِند اَلله.

وَلذَا: فَإِن اَلله تَبارَك وَتَعالَى بَعد أن نَوَّه بِهم في سُورَة الحشر أَمر كُلّ مُؤمِنٍ يَأتِي بعدهم أنَّ يَستغفِر لَهُم، مُستحضرًا سبقهم لَه بِالإيمان وَذلِك في قَولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠]؛ فَجعَل اَلله المؤمنين صِنفينِ في هذَا اَلموضِع:

- **الصِّنف اَلأُول:** السَّابقون من المهاجرين والأنصار ﷺ.
- **الصِّنف الثَّاني:** الجاؤون بعدهم إِلى قِيَام السَّاعة مُستغفرين لِهؤلَاء الذين سَبقُوهم بِالإيمان.

وليس في المؤمنين صَنفٌ ثَالِث بعد هذينِ الصِّنفينِ، بِدليل أَنَّ اَلله بَعد أن ذكر هذينِ الصِّنفينِ ذَكرَا فِئة لَيسَت من المؤمنين بِسبيل وَهِي فِئةُ المنافق فَقَال عَزَّوَجَلَّ بعدمَا ذكر المؤمنين الجاءين بعدهم المستغفرين لَهُم قال عن صَنَّفٍ لَيسُوا من اَلأُمة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ ﴾ [الحشر:١١] اَلآيَة؛ فَتَأمَّل كَيف ذَكرَت الآيَات أَهل الإيمان على حِدة، السابق مِنهم واللَّاحق، ثُمَّ لِمَا فرغ من بَيانِهم جميعًا ذكر تَعالَى صِنفًا لَيسُوا من المؤمنين بِسبيل، وَهم أَهل النِّفَاق، فكيف يَخلِط أحدٌ بعد ذَلِك أَصحَاب مُحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمنافقين، مع أَنَّ التَّمايز بينهم في كِتَاب اَلله قد بلغ هذَا اَلحَد.

وَفِي كِتَاب اَلله من المواضع التي أَثنَى فِيهَا عَزَّوَجَلَّ على المهاجرين والأنصار خيرًا مَا لَم يُدركهم فيه أحدٌ بَعدهم؛ فَمِن ذَلِك أَنَّ اَلله اِمتدَح ذَلِك الجمع اَلكرِيم من المهاجرين والأنصار ﷺ من أَهل بَيعَة الرِّضوان وَنوَّه بِمقامهم اَلعظِيم في صُحبَة اَلنبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى صار مَا ذَكرَه اَلله بِشأنِهم في سُورَة الفتح فتحًا على من تَدبَّر كِتَاب رَبِّه تَعالَى يَعِي بِه مقامهم ﷺ في الصُّحبة.

قال تَعالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الفتح]؛ فَهؤُلاء الصَّحب الكرام ﷺ الذين بايعوا اَلنبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام سِتٍّ تَحت الشَّجَرة بَيعَة الرِّضوان حِين بلغ اَلنبِي صَلَّى اَلله وَسلَّم أَنَّ قُرَيشًا قَتلَت رَسُولَه إِليهم عُثمان ﷺ، فبايع اَلنبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هؤلاء الصّحب الكِرَام على قِتَالٍ لَا يفرُّون فِيه، وَعلَى إِثر ذَلِك حصل صُلح الحديبية لَاحقًا الذي سَمَّاه اَلله تَعالَى «**فتحًا**»، وَأَذعنَت قُرَيشٌ فِيه للسلم بعد أن كَانَت مُتَعنتَة تَأبَى

إلَّا القتَال.

إذَا تَدبّرَت الآيَات السَّابقة في أهل هَذِه البيعة في قَولِه: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، وَجدَت أنَّ اَلآيَة تَسمَّت أَهل هَذِه البيعة من المهاجرين والأنصار بِالمؤمنين، فكيف يُسَميهم أحدٌ بَعد تَسمِية اَلله تَعالَى بِتسمِيةٍ مُضَادَّة لِهَذه التَّسمية، كأن يُسَميهِم بِالكفَّار أو المنافقين وَهُو يَقرَأ تَسمِية اَلله لَهُم بِالمؤمنين هذَا أوَّلا.

○ **ثانيًا:** قد أعلمنَا اَلله أَنَّه رَضِي عَنهُم وَهذَا أَمرٌ لَه مَدلُوله اَلكبِير في كِتَاب اَلله، لَمِن تَأمّل مَواضِع رِضَاه تَعالَى في هذَا الكتَاب اَلعزِيز؛ حَيث ذكر اَللهُ رِضَاه عن المؤمنين ورضاهم عَنه في خَمسَة مَواضِع في كِتابه في [المائدة والتَّوبة والفَتح والمجادلة والبيِّنة]، وَهُو لَا يَرضَى إلا عن خِيَار المؤمنين مِمَّن أكرمَهم بِهَذه التَّسمية، كمَا قال تَعالَى هَذِه التَّسمية التي أضافهم فِيهَا إلى نَفسِه حَيث سمَّاهم «**حِزب اَلله**»؛ كمَا قال تَعالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]؛ فَنصَّت هَذِه اَلآيَة على أنَّ اَلله يَرضَى عن أهل الإيمان الذين أضافهم لِنفسه الكريمة بِقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾ [المجادلة:٢٢]، وقد رأيت أنَّ آية سُورَة الفتح قد نَصَّت على رِضَا اَلله عن أَهل الحديبية؛ فَعَلمنَا من مَجمُوع الآيتينِ أنَّ أَهل الحديبية من حِزب اَلله المفلحين قَطعا.

وَتَقدَّم أنَّ اَلله بَيّن في سُورَة المائدة أنَّ رِضَاه يَتحقَّق لِأَهل الصِّدق من عِباده، وَذلِك في قَولِه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة:١١٩] اَلآيَة؛ فَعَلمنَا من مَجمُوع مَا دَلَّت عليه آية المائدة مع آية الفتح السَّالفة أنَّ رِضَا اَلله عن أَهل الحديبية كان لِصدقِهم مع رَبهم تَعالَى، إذ جعل اَلرَّبُ رِضَاه لِأَهل الصِّدق الذين ينفعهم صِدقهم يَوم القيامة فلَا يَلتَبِسُ أَهل الصِّدق من حِزب اَلله المفلحين، الذين ﷺ وَرضُوا عَنه لِمن هُم أَبعَد شَيءٍ عن رِضَاه تَعالَى من أَهل النِّفَاق الذين قال اَلله فِيهم: ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٩٦].

❍ **ثالثًا:** في سُورَة الفتح أَمرٌ غَيبِي يَتعلَّق بِمَا تُكنَّه صُدُور أَهل الحديبية، قد أعلمنَا اَلله تَعالَى به وَهُو علّام اَلغُيوب حَيث قال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١٨] قال ابن كثير: **أي** من الصِّدق والوفاء، وَهذِه شَهادَةٌ على قُلوبِهم ﷺ بِالتَّزكية وأنَّهم ﷺ وأرضاهم مُؤمنون صادقون ظاهرًا وَباطِنا، والدَّليل على أنَّ ذَلِك هُو اَلمُراد بَقيَّة اَلآيَة حَيث ذكر اَلله أَنَّه كافأَهم لِأَجل مَا اِنطوَت عليه قُلوبهم من هذَا الصِّدق والوفاء بِالأمور اَلآتِية:

❍ **الأمر الأوَّل:** إنزَال السَّكينة وَهِي الطُّمأنينة كمَا ذكر ابن كثير، وإنزَالُ السَّكينة قد بَيَّن اَلله في أَوَّل السُّورة في أَنَّه يزيد بِه المؤمنين إيمانًا، مع إيمَان مع إيمانهم كمَا قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]؛ وَكمَا ذكر تَعالَى هُنَا نُزُول السَّكينة عَليهِم فقد ذكر نُزُول السَّكينة على رَسولِه وَعلَى المؤمنين معه في قَولِه بَعد سَبع آيات: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٦] اَلآيَة، وَحسَب هؤلاء الأخيار منقبةً أن يقرنَهم رَبهُم بِنبيِّه ﷺ في إنزَال السَّكينة.

❍ **الأمر الثَّاني:** رَتَّب الله على هذَا الأمر المحمود الذي اِنطوَت عليه قُلوبهم أنَّ منَّ عَليهِم بِفَتحٍ قريب، وَهُو مَا أَجرَى اَلله على أَيدِيهم من الصُّلح في الحديبية، ومَا حصل بِذَلك من الخير اَلعام المستمرِّ اَلمُتصل، بِفَتح الأقاليم اَلأُخرى ومَا حصل لَهُم من اَلعِز والرِّفعة في الدُّنيَا والآخرة.

❍ **الأمر الثَّالث:** رَتَّب اَللهُ على ذَلِك مَغانِم كَثِيرَة نَالُوها بِفَضل جِهادِهم وفتوحهم المتلاحقة، بَعد تَوفِيق اَلله، وَأَبان تَعالَى عن وَعدٍ لَن يُخلف بِتيسِير مَا لَم يَكُن في إِمكانهم اَلوُصول إِلَيه من الفتوحات العظيمة، والغنائم اَلأُخرى فيسَّرَهَا لهم من حَيثُ لَم يحتسبوا وَأَحاط بِهَا لَهُم، كمَا قال سُبحانه: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح:٢١]، **وقد قِيل:** إنَّ اَلمُراد بِذَلك مَا حصل من فَتح خَيبَر، **وقيل:** مَكَّة، **وقيل:** فَارِس والرُّوم، واختَار مُجَاهِدٌ: أَنهَا في كُلِّ فتحٍ وغَنِيمَة إِلى يَوم القيامة، وَقَال ابن عَبَّاس: في اَلمُراد بِمَا لَم يقدروا عليه هَذِه اَلفُتوح التي تَفتَح إِلى اليوم، ثُمَّ بَيَّن تَعالَى أن هؤلاء الأخيار لَو قاتلَهم اَلكُفارُ لفر اَلكُفار وولَّوا الدُّبر، كمَا قال تَعالَى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ [الفتح: ٢٢]؛ فَتأَمَّل كَيف جعل اَلله اَلكُفار هُم العدوّ المقابل لِلصَّحابة، فكيف يَقُول قَائِلٍ إِنَّ في الصَّحابة كُفَّارًا هذَا أَوَّلا.

ثانيًا: من هُو الصِّنف الذي أَخبَر اَلله أَنَّه يَنصُر على اَلكُفار؟ لَا شكَّ أَنهُم أَهل الإيمان الرَّاسخ، الذين وعدهم اَللهُ بِالنَّصر في قَولِه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، وقد عَلمَت من كِتَاب اَلله أَنَّه تَعالَى إِنَّما يَنصُر من نصرَة، كمَا في قَولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧]، وَهذَا النَّصر اَلعظِيم الذي نَصر به تعالى هؤلاء الأخيار من أَصحَاب اَلنبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُو سنة اَلله في أَهل الإيمان جميعًا، كمَا في خِتَام الآيَات التي سُقناهَا من سُورَة الفتح؛ حَيث قال: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الفتح:٢٣]، أيّ: هَذِه سنّة اَلله وعادَتهُ في خُلُقه، مَا تَقابَل اَلكُفر والإيمان في مَوطِن فَيصِلٍ إلا نَصر اَلله الإيمان على اَلكُفر فَرفَع اَلحَق ووضع الباطل كمَا ذكر ابن كثير، وَهذَا بِحَمد اَلله مَا حصل من تَحقِيق وَعد اَلله في أَصحَاب اَلنبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قَولِه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور:٥٥]؛ فَإِن اَلآيَة فِيهَا كمَا بَيَّن ابنُ كثير وعد من اَلله بِجَعل أُمَّة مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلَفاء الأرض أي: اَلوُلاة على النَّاس؛ فلم يمت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى فَتح اَللهُ عليه سَائِر جَزِيرَة العرب؛ فَلمَّا تَولَّى أَبُو بَكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا شعث ما بَعد مَوت اَلنبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبعَث جُيوشًا فَتحَت في بِلَاد الشَّام والعراق ومصر، ثُمَّ تَولَّى عُمَر ففتحت فِيه خِلافَته البلَاد الشَّاميَّة والمصريَّة بكمالها، وأكثر بِلَاد فَارِس ثُمَّ تَولَّى عُثمان فامتَدَّت الممالك الإسلاميَّة إِلى أَقصَى مَشارِق الأرض ومغاربهَا، ففتحت بِلَاد اَلمغرِب إِلى الأندلس، وَمِن نَاحِية اَلمشرِق إِلى بِلَاد الصِّين، وجري الخرَاجُ من المشارق والمغارب لِأمير المؤمنين عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وَلِهذَا ثبتَ في اَلصحِيح أَنَّ اَلنبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اَلله زوى لِيَّ الأرض فرأيتُ مشارقهَا ومغاربهَا وإن أُمَّتي سيبلغ مِلكهَا مَا زوى لِيّ مِنهَا**» هذَا كَلَام ابن كثير؛ فَهذَا الوعد الإلَهيُّ تَحقَّق لِنَبي اَلله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لِأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والأمَّة تَبعٌ لَهُم في ذَلِك إِذَا سَلكَت سبيلَهم، وقد قال تَعالَى في سُورَة الفتح بَعد أن ذكر مَا كان من اَلكُفار من حِميَة الجاهليَّة في صُلح الحديبية: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ [الفتح: ٢٦]، وَكلِمة التَّقوى هِي: «**لَا إِله إِلَّا اَلله**» في قَول جُمهُور المفسِّرين، بَيَّن تَعالَى أَنَّه الزم هؤلاء الأخيار من المؤمنين هَذِه اَلكلِمة، التي لَا مَدخَل لِلإسلام إِلَّا من طَرِيقِها؛ لَيس هذَا فحسب؛ بل شَهِد تَعالَى أَنهُم هُم أَهل هَذِه

الكلِمة، وَهُم الأحقِّ بِهَا ولَا عجب، فقد قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٤]؛ «**فالمؤمنون حقّا**» هُم الأحقُّ بِكلمة الإيمان لَا إِله إِلَّا الله، ومَا دام بَيَان القُرآن في الشَّهادة لِهؤلَاء الأخيار قد بلغ هذَا الحَد؛ فَإِن من العبث أن يَسأَل أحدٌ عن تَحقُّق الإيمان لِهؤلَاء الذين جعلهم رَبهُم أَهل كَلمَة التَّوحيد والأَحقّ بِهَا فمن سَيكُون مُؤمِنا بَعد ذَلِك؟ إِن لَم يَكُن الأحق بِلَا إِله إِلَّا الله مُؤمِنا.

وقد قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأخبر أَنَّه وَضع هَذِه الكلِمة عِند أَهلِها، وَمِن هُم أحقُّ بِهَا وَأَنَّه أَعلَم بِمن يستحقُّهَا من غَيرِهِم، وبه تَعلم المعنى العظِيم الوارد في قَول الله عن المهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠] الآيَة؛ فَذكَر الله رِضَاه عن السَّابقين من غَير اِشتِراط إِحسَان، ولم يَرض عن التَّابعين إِلَّا أن يتبعوهم بِإحسَان كمَا نَبَّه إِلى ذَلِك شَيخ الإِسلام ابن تَيمِية؛ فالثَّناء على من بعد المهاجرين والأنصار مَشرُوطٌ بِاتِّباعهم، **كمَا قال الأوزاعي**: فإن أصحابه أَولَى بِالحقِّ مِنَّا؛ لِأَنَّ الله أَثنَى على من بَعدهِم بِاتِّباعهم إِيَّاهم، في قَولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]؛ فَكُل ثَنَاءٍ على من بَعد هؤلاء السَّابقين فَهُو مَربُوطٌ بِأَمر اِتِّباعهم بِإحسَان، وَكفَى بِذَلك دَلالَةً على عِظم شَأنهم وكبير قَدرهِم وَتبعِية كلِّ صَالِح يَأتِي بعدهم إِلى قِيَام السَّاعة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

وَمِن أَجلّ من صَحِب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجاته الطَّاهرات الكريمات اللَّاتي خصَّصن في كِتَاب الله بَاسِم شريف، لَم يشركَهنَّ فِيه أحد من أُمَّة مُحمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حَيث سمَّاهم الله بِأُمَّهَات المؤمنين فَقَال سبحانه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب:٦] وَهذِه التَّسمية القرآنيَّة من الشَّرف الرفِيع بِمكانٍ لَا يَخفَ؛ إِذ بِهَا صِرنَا أُمَّهات لِكلّ مُؤمِن مُنذ عَهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلى قِيَام السَّاعة، وَذلِك مُقَامٌ لَم ينلنه لكونهن قد آمنَّ بِالله وَرسُوله فحسب فإن المؤمنات سِواهنَّ كثير؛ وَإِنمَا نلنهُ بِصحبتهنَّ الخاصَّة برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَلذَا صدّر الله الآيَة بِذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾ [الأحزاب:٦]، ثُمَّ عَطف بِذكر أزواجه فَقَال: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب:٦]؛ فأمومتهنَّ لِلمؤمنين مُرتبطَةٌ بِكونهنَّ زَوجاتٍ لِنَبي الأُمة صَلوات الله وسلامه عليه.

وَهذَا الاسم العظِيم «**أُمَّهات المؤمنين**» لَه وَقعَه الكبير، على نَفس كُلّ مُؤمِن؛ لِأَنَّ اِسم الأمومة ذُو أثرٍ بَالِغ على البرَرة من الأولاد ولَا سِيَّما والصِّلة فِيه بِالأُمَّهات أَشرَفُ وَأَعَزُ من الصلَة المعروفة لِلأُمَّهات

وَهِي صِلة النِّسب والرَّضاع.

وَلذَا: فَإِن كُل مُؤمِنٍ كمَا يَعلَم مَكانَة رَسُول اَلله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّه يَعلَمُ ولَا بُدَّ مَكانَة زَوجات نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّاتي جعلهُنَّ اَللهُ أُمَّهات لِكلّ من دَانى بِهَذا الدِّين من خِلَال أَعظَم رَابِطةٍ وَهِي رَابِطةُ الإيمان؛ ولأجل ذَلِك فَإِن من بريء من أُمَّهات المؤمنين فقد بريء من الإيمان؛ لِأَنَّهنَّ أُمَّهاتٌ لِلمؤمنين.

وَلذَا: جاء عن عَائِشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنهَا قِيل لَهَا إِنَّ رَجُلًا يَقُول إِنَّ عَائِشة لَيسَت أُمِّي، فقالت صِدق إني أُمُّ لِلمؤمنين، **أي:** هُو أَدرَى بِنفسه إِذَا كَانَت عَائِشة لَيسَت أُمُّه؛ فَهذَا لَيس لِأشكَالٍ يَتعلَّق بِأمَّهَات المؤمنين فَإِن عَائِشة بِنصِّ اَلقُرآن أُمٌّ لِلمؤمنين؛ لَكِن إِذَا كَانَت عَائِشة لَيسَت أُمًّا لَه فَهُو أَدرَى بِنفسه؛ لأن عَائِشة أُم المؤمنين وليست أُمَّ الكافرين، كمَا بَينَت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فَهذَا في المحور المتعلِّق بِأنوَاعٍ مِنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

كمَا ذكر اَلله تَعالَى فَضل أنواعٍ من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِيمن ذكرنَا من المهاجرين من الأنصار من أَهل الحديبية وَهُم مجمع من المهاجرين والأنصار أيضًا؛ وَكذَا أُمَّهات المؤمنين فقد ذكر اَلله تَعالَى أفرادًا من المؤمنين من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وخصَّهم بِذكره لَهُم وَنوَّه بِشأنِهم في كِتابه.

○ وَعلَى رَأس هؤلاء أَفضَل الصَّحابة أَجمعِين وَهُو: أَبُو بَكرٍ رَضِي عَنه قال تَعالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة:٤٠]؛ لقد دَلَّت هَذِه اَلآيَة على فَضائِل كَثِيرَة جِدًّا لِلصَّدِيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **مِنهَا:** اَلنَّص على خُصُوص صُحبته، في قَولِه عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة:٤٠]؛ **لِهَذا قال السَّلف وأهل العلم:** من لَم يُقِر بِصحبة أَبِي بَكرٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّه يَكفُر؛ لِأَنه مُكذِّبٌ لِلقرآن الذي نصَّ اَلله فِيه على صُحبَة أَبِي بَكر.

من فَضائِله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في اَلآيَة اَلنَّص على مَعيَّة اَلله لَه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة:٤٠]، وفيه اَلحدِيث اَلصحِيح أَنَّ أَبَا بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَا تَبعهُ المشركون، قال لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَو أَنَّ أَحدَهم نظر إِلى مَوضِع قدميه لَرآنَا» فَقَال صَلَّى اَلله وَسلَّم: «**مَا تَقُول فِي اِثنينِ اَللهُ ثالثهمَا**»، قَارَن هذَا في قَولِه تَعالَى في شَأن اَلنبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصاحِبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة:٤٠] في هذَا اَلموضِع المخوف لِمَا قال تَعالَى عن مُوسَى وقومه في مَوضِع مخوف؛ حَيث تَبعهُم فِرعونُ وقومه قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦٢]؛ بينمَا قال في اَلموضِع المخوف

في شأن أَبي بَكر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، يَقُول الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعالَى في هَذِه الآيَة ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾[التوبة:٤٠] عَاتَب اَللهُ كُلَّ اَلخُلق إِلَّا أبَا بَكر؛ لِأنَّ أبَا بَكر مع اَلنبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطعًا في هَذِه اَلآيَة وَفِي أَعظَم وَأَشَد سفرٍ خطرٍ وَهُو سفر الهجرة.

مِمَّن ذكر اَلله تَعالَى في كِتابه وَسَمّاه بِاسمه وَهُو الصَّحابيُّ اَلوحِيد الذي سُمِّي بِاسمه صريحًا في اَلقُرآن زَيد بن حَارِثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضَاه، في قَولِه عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]؛ فَسَمّاهُ اَللهُ تَعالَى بِاسمه تحديدًا في كِتابه.

مِمَّن ذكرهم اَلله تَعالَى أفرادًا زَينَب أُم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَإِن لَم يَذكُرها بالاسم؛ لَكن ذكر أَمرًا شريفًا عظيمًا في نَفس هَذِه اَلآيَة؛ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فَهذِه اَلآيَة فِيهَا أنَّ اَلله تَعالَى هُو الذي تَولَّى تَزوِيج زَينَب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاهَا، وقد كَانَت تَفخَرُ على بَقيَّة أُمَّهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ بِذَلك؛ فَتقُول زُوّجكنَّ أهاليكنَّ وزوَّجَني اَللهُ من فَوق سَبع سماوَات؛ فَهذَا من النَّماذج على مَا ذكر اَلله تَعالَى من فَضائِل لِأفرَادٍ من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

والكلامُ لَا شك في الصحابة عَليهِم الرَضوان وفضلهم يَطُول جِدًّا؛ لَكِن نُنوِّه في الختَام إِلى شَيءٍ مُحدَّدٍ لَعلَّه أن يَكُون فِيه اَلمزِيد من بَيَان مَا لِلصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الفضيلة والقَدر؛ فَمِن ذَلِك أنَّ اَلله تَعالَى كمَا ذكر شَيخ الإسلام: مَا ذكر عن نَبِي ذَنبًا إِلَّا اتبعَهُ بِالتَّوبة، فَقَال تَعالَى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]، وَقَال تَعالَى عن دَاوُود: ﴿وظن داوود أن ما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب﴾، ثم قال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص:٢٥]، **يَقُول شَيخ الإسلام**: [مَا ذكر اَلله ذنبًا لِنَبِي إِلَّا اتبعَه لِذكر تَوبَتِه عَنه]، إِذَا تأمَّلت الآيَات التي وَردَت في الصَّحابة وذكرت بَعض مَا وقع مِنهم وَجدَت هَذِه الخصلة فِيهم، وَنعطِي مِثالا واحدًا بِقوله تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾؛ فَهذِه الخصلة العظيمة في الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد ذُكر نظيرهَا في الأنبياء؛ فإن مَا وقع من بَعضهِم من الفرَار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوم أحد قد ذَكرَه اَلله تَعالَى واتَّبعه فورًا بِذكر العفو عَنه؛ فَقَال: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾، ثُمَّ قال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٥] فَلم يَبق لِطاعنٍ فِيهم حُجَّة.

من ذَلِك أنَّ اَلله تَعالَى لمَ فعل المشركون مَا فَعلُوا بالَنبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يَوم أحد، من السَّعي الحثيث لِقَتل رَسُول اَلله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِن قَتل سبعين من أصحابه والتَّمثيل بِهم، فوقعت مُصيبَة سمَّاهَا اَلله تَعالَى بِمصيبة: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] وَهِي المصيبة بِالهزيمة يَوم أحد؛ فَدعَا اَلنبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عددٍ من كُفَّار قُرَيش، مِنهم سُهَيل ابن عَمرُو وَعكرِمة وَأَبُو سُفيان، اَلله عَزَّوَجَلَّ عَلَامُ اَلغُيوب، يعلم أنَّ هؤلاء في حال شِركهم سَيمنّ عَليهِم بِالتَّوبة؛ فأنزل قَولُه تَبارَك وَتَعالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران:١٢٨]؛ فَنهَى اَلله نَبيَّه عن الدُّعَاء عَليهِم وَهُم مُشركون؛ لِعلمه سُبحانه وَتَعالَى أَنهُم سيؤمنون ويشرفون بِصحبَته عليه الصَّلَاة والسَّلام، وقد ذكر تَعالَى التَّوبة عَليهِم قَبل أَمر تعذيبهم: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران:١٢٨]؛ فَذكَر أنَّ الأمر مُتَردِّدٌ بَين حالين، إِمَّا أن يَتُوب عَليهِم وَإِمَّا أن يُعذِّبَهم فَذكَر التَّوبة عَليهِم قَبل ذَلِك؛ لِأنَّهم سيتوبون فتابوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

❍ **الحاصل من هذَا كُلُّه أن يُعلم:** أنَّ أَمر أَصحَاب اَلنبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمر ممايزةٍ كُبرَى، بَين أَهل وَبين أَهل الباطل؛ فالتَّعرض لِأصحَاب اَلنبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمسبّة والذَّمّ أَمرٌ من الضَّلَال والكفر بالغٌ كُلّ مَبلَغ ولَا سِيَّما إِذَا كان يَتكلَّم فِيهم جميعًا؛ فَإِن هذَا كمَا ذكر شَيخ الإسلام: كُفرٌ بِالإجماع، **قال الإمَام أَحمَد** رَحِمَهُ اللَّهُ لِمَا سُئِل عَمَّن يَنَالُ من مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيصلى خَلفَه؟ قال لَا؛ ولَا كَرامَة، مع أن مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من مُسلِمة الفتح، وليس أَجلّ قدرًا غَيرَه من الصَّحابة من المهاجرين والأنصار ومع ذَلِك يَقُول الإمَام أَحمَد فِيه هذَا، **وَقَال السَّلف:** [إِنَّما مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَترٌ لِأصحَاب مُحمَّدٍ؛ فَمِن هَتك السَّتر أَوشَك أن يَدخُل على بَقيتِهم] رَضِي اَلله تَعالَى عن أَصحَاب مُحمَّد وأرضاهم وسلك بنا على أثرهم.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ألقيت هذه المحاضرة ليلة الخميس من شهر
جمادى الآخرة سنة أربعين وأربع مئة وألف
من الهجرة النبوية
بجامع الإمام تركي بن عبد الله، بحي العزيزية، الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.